الرقابة الإلهية في ضوء القرآن الكريم

د. نبيل مصطفى شعت

أستاذ ادارة الأعمال المساعد في جامعة القدس المفتوحة

الملخص

2

تهدف هذه الدراسة إلى تسليط الضوء على أهم أنواع الرقابة وهي الرقابة الإلهية (الربانية) التي تحكم باقي أنواع الرقابة الأخرى . وكذلك بيان منزلة هذا النوع في القرآن الكريم وذكر بعض الآيات القرآنية الكريمة التي دلت على الرقابة (صراحة أو معنى) . بيان أن التزام المؤمن بهذا النوع من الرقابة في أعماله الظاهرة والباطنة يعمل على تخفيض الحاجة إلى أجهزة رقابية مكلفة مما يؤدي بالتالي إلى خفض التكلفة الكلية للعمل ، فينعكس ذلك إيجابيا على المؤسسة التي يعمل بها المؤمن بشكل خاص ، وعلى المجتمع ككل . وقد تم اعتماد منهج البحث الوصفي والاستقرائي في هذه الدراسة . كما تم الخروج بعدد من النتائج واقتراح عدد من التوصيات .

Abstract:
The study aims to highlight and focus on the basic and the most important kind of controlling , namely , (ALLAH controlling) – that governs all other kinds of controlling – in the light of Holly Quran.

Some of the many verses talking on the foresaid kind have been listed. The descriptive and inductive methodologies were employed , several consequences and some recommendations were provided.

مقدمة :

تفرد الإسلام بوضع الأصول الراسخة للرقابة وفي مقدمتها الرقابة الالهية التي توجه وتصلح سلوك وحال المؤمن وجميع أعماله الظاهرة والباطنة . ويزخر القرآن الكريم بالكثير من الآيات التي دلت على الرقابة (صراحة او معنى) ، وعندما يلتزم المؤمن بهذا النوع من الرقابة ينصلح عمله و حاله فينعكس ذلك إيجابيا على عمله في المؤسسة التي يعمل بها أو على عمله الخاص به وعلى المجتمع ككل .

أسئلة الدراسة : جاءت هذه الدراسة لتجيب عن الأسئلة الآتية:

1. ما مفهوم الرقابة في اللغة وفي الاصطلاح ؟
2. ما مفهوم الرقابة الالهية (الربانية) وفق القرآن الكريم ؟
3. ما الآيات القرآنية الكريمة التي دلت على الرقابة صراحة أو معنى ؟
4. ما مكانة الرقابة في ضوء القرآن الكريم ؟

أهداف الدراسة :

1. بيان مصدر الرقابة الأسمى والأهم والأشمل ألا وهو القرآن الكريم .
2. ذكر بعض الآيات العديدة التي دلت على الرقابة صراحة او معنى في القرآن الكريم
3. التركيز على أن الرقابة الالهية (الربانية) هي الأساس الحقيقي الذي يوجه ويصلح سلوك وحال المؤمن في كل أعماله الظاهرة والباطنة .
4. بالتالي فإن جميع أنواع الرقابة الأخرى- كالرقابة الذاتية ، الرقابة الرئاسية ، الرقابة الشعبية- تكون خاضعة للرقابة الالهية ومحكومة لها .

أهمية الدراسة :

تنبع أهمية الدراسة من التركيز على الرقابة الالهية باعتبارها الحاكم لباقي أنواع الرقابة الأخرى ، الأمر الذي يجعل المؤمن يراقب و يخاف الله في جميع أعماله وبالتالي تنخفض الحاجة إلى وجود أجهزة رقابية مكلفة بشكل خاص ، مما يتمخض عنه انخفاض التكلفة الكلية للعمل بشكل عام ، مع الحرص على إتقان العمل .

منهج البحث :

لكل نوع من أنواع الدراسة والبحث منهج وقواعد يجب الالتزام بها ، وتتسم الدراسات والبحوث الإسلامية بذاتية تميزها عن المناهج الأخرى حيث تقوم على مجموعة من القواعد الأساسية التي يجب أن يلتزم بها الباحث أو الكاتب من أهمها ما يلي:(1)

1. تعتبر الشريعة الإسلامية حجة على المفكرين والباحثين وغيرهم وليسوا هم حجة عليها، فإذا ما تطابقت أفكارهم معها فيدل ذلك على صحة تلك الأفكار وإذا ما اختلفت فهم الخاطئون ولا ريب، ولقد أكدت الدراسات والأبحاث التي تمت حتى الآن هذه الحقيقة، فإذا ما أخطأ المفكر الإسلامي أو من ينفذ أحكام الشريعة الإسلامية فلا يعني هذا قصورا في الشريعة الإسلامية كما أن الاجتهاد مرغوب فيه ما دامت شروطه متوافرة.
2. تتعلق الشريعة الإسلامية بالعبادات والمعاملات ولا يمكن الفصل بينهما بل هما وجهان لعملة واحدة وكما أن النظام الإسلامي يمزج بين الروحانية والمادية في إطار متوازن، فهو يقيم شئون الدنيا على أساس من الدين ويتخذ من الدين سندا للدولة؛ لذلك كان خطأ ما يشاع من أنه ليس هناك في الدين إدارة أو اقتصاد أو محاسبة إلى غير ذلك، أو يعتقد أنه لا فرق بين المحاسبة في الإسلام والمحاسبة الوضعية؛ ففي ظل النظام الإسلامي لا يمكن أن يوجد أي فرع من فروع المعرفة بدون سند من الدين.
3. أن دراسة وتحليل صافي التراث الإسلامي من أصول عملية واستنباط المفاهيم والقواعد الأساسية والإجراءات والنظم التي تمثل الإطار الفكري والعلمي لحل المشاكل المعاصرة إسلاميا وتعنى بالحاجات العملية- لأمر لازم وضرورة شرعية بصرف النظر عن توافقها أو عدم توافقها مع مثيلاتها المعاصرة.
4. تركز الشريعة الإسلامية على القواعد الأساسية الثابتة على مدار الزمن ويعتبر تطويع ذلك ليتمشى مع المفاهيم والمبادئ والقواعد المعاصرة جرما ، كما أن الشريعة الإسلامية قد تركت بعض التفاصيل والفروع لتتكيف حسب الزمان وحاجات الناس وتغير الظروف والأحوال، وتبقى الشريعة ثابتة لا تتغير لأن الإسلام خالد في كل زمان ومكان كما لا

تنكر الشريعة الإسلامية استخدام الأساليب والوسائل العلمية المنظورة ما دامت لا تتعارض معها.

يعتمد الباحث المنهج الوصفي والاستقرائي في هذه الدراسة .

الدراسات السابقة :

1. د. محمد رأفت عثمان : (بعض المبادئ التي تحكم الإدارة العامة في الإسلام) ، ص105. فيما يتعلق بالرقابة تطرقت هذه الدراسة إلى الحسبة والفرق بينها وبين التطوع بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر . ((2
2. د. محسن أحمد الخضيري : (الفكر الإداري في الإسلام) ، ص 141 . فيما يتعلق بالرقابة تطرقت هذه الدراسة إلى الرقابة في الإدارة الإسلامية بشكل مقتضب جدا (3)
3. د. حسين حسين شحاتة : (المنهج الإسلامي للرقابة على التكاليف) ، ص339 . فيما يتعلق بالرقابة ركزت هذه الدراسة على الرقابة المتعلقة بالتكاليف.(4)
4. د. عبد العزيز بن سعد الدغيثر : (الرقابة الإدارية) ، 2016م . لم يتم التركيز على الرقابة الإلهية وتطرقت الى الأنواع الأخرى .(5)
5. د. عبد الرحمن بن سعيد الحازمي : (إنشاء أجهزة للإشراف والمتابعة والمراقبة والمحاسبة)، 2016م. لم يتم التركيز على الرقابة الإلهية .(6)

تعقيب على الدراسات السابقة : اتفقت الدراسة مع بعض الدراسات السابقة من حيث منهج البحث وتميزت الدراسة الحالية بالتركيز على الرقابة الالهية ومنزلتها في القرآن الكريم ، باعتبارها الناظمة والحاكمة لكافة أنواع الرقابة الأخرى .

المبحث الأول
مفهوم الرقابة

مفهوم الرقابة في اللغة :

جاء في " لسان العرب " لابن منظور : رقب: فِي أَسماءِ اللَّهِ تَعَالَى: الرَّقِيبُ: وَهُوَ الحافظُ الَّذِي لَا يَغيبُ عَنْهُ شيءٌ؛ فَعِيلٌ بِمَعْنَى فَاعِلٍ. وَفِي الْحَدِيثِ: (ارْقُبُوا مُحَمَّداً فِي أَهل بَيْتِهِ) أَي احفَظُوه فِيهِمْ. وَفِي الْحَدِيثِ: (مَا مِن نَبيٍّ إِلّا أُعْطِيَ سبعةَ نُجَباءَ رُقَباءَ) أَي حَفَظَة يَكُونُونَ مَعَهُ. والرَّقيبُ: الحَفِيظُ. ورَقَبَه يَرْقُبُه رِقْبةً ورِقْباناً، بِالْكَسْرِ فِيهِمَا، ورُقُوباً، وترَقَّبَه، وارْتَقَبَه: انْتَظَرَه ورَصَدَه. والتَّرَقُّبُ: الِانْتِظَارُ، وَكَذَلِكَ الارْتِقابُ. وقوله تعالى: لَمْ تَرْقُبْ قَوْلِي ؛ مَعْنَاهُ لَمْ تَنتَظِرْ قَوْلِي. والتَّرَقُّبُ: تَنَظُّرُ وتَوَقُّعُ شيءٍ.(7) ورَقَبَ الشيءَ يَرْقُبُه، وراقَبَه مُراقَبةً ورِقاباً: حَرَسَه.(8) وراقبَ اللهَ تَعَالَى فِي أَمرِهِ أَي خافَه. (9) اتفقت معظم معاجم اللغة العربية على أن معنى كلمة "رقابة" أو تصريفات الفعل "رقب" تعني الحفظ والانتظار والخوف . جاء في القاموس المحيط : "الرقيب الله والحافظ والمنتظر والحارس". (10) وقد جاء في الأثر قول أبي بكر الصديق رضي الله عنه (ارقبوا محمدا في آل بيته) بمعنى احفظوه فيهم . وقول النبي ﷺ " ما من نبي إلا أُعطي سبعة نجباء رقباء " بمعنى حفظة يكونون معه. أما معنى الانتظار فالشاهد عليه من القرآن الكريم قول الله تعالى : ﴿فَأَصۡبَحَ فِي ٱلۡمَدِينَةِ خَآئِفٗا يَتَرَقَّبُ﴾ [القصص: 18] ومعنى يترقب في هذه الآية أنه ينتظر المكروه من أعدائه أو الفرح بنجاته . وقد جاء فعل الأمر "ارتقب" بمعنى انتظر في قوله تعالى : ﴿فَٱرۡتَقِبۡ يَوۡمَ تَأۡتِي ٱلسَّمَآءُ بِدُخَانٖ مُّبِينٖ ١٠﴾ [الدخان: 10] والمعنى انتظر لهم يا محمد يوم تأتي السماء بدخان مبين وقيل أن المعنى هو احفظ قولهم هذا لتشهد عليهم يوم تأتي السماء بدخان مبين . وكذلك قوله تعالى: ﴿فَٱرۡتَقِبۡ إِنَّهُم مُّرۡتَقِبُونَ﴾ [الدخان: 59] بمعنى فانتظر ما يحل بهم .(11) ولكن الاستعمال الشائع لمعاني الفعل "رقب" وتصريفاته هو الحفظ والانتظار والشاهد على ذلك من القرآن الكريم قول الله سبحانه وتعالى حكاية عن نبيه موسى عليه السلام عندما خاطب أخاه هارون :﴿ وَلَمۡ تَرۡقُبۡ قَوۡلِي﴾ [طه: 94] بمعنى لم تحفظ قولي حين استخلفتك في بني إسرائيل وكذلك قوله تعالى : ﴿لَا يَرۡقُبُونَ فِي مُؤۡمِنٍ إِلّا وَلَا ذِمَّةً﴾ [التوبة: 10] بمعنى أنهم لا يحفظون في مؤمن عهدا ولا ميثاقا. وقد وردت كلمة رقيب بمعنى حفيظ في ثلاث آيات من كتاب الله تعالى، إحداها قول الله سبحانه حكاية عن سيدنا عيسى عليه السلام ﴿ فَلَمَّا تَوَفَّيۡتَنِي كُنتَ أَنتَ ٱلرَّقِيبَ عَلَيۡهِمۡۚ ﴾ [المائدة: 117] أي كنت الحافظ لهم والعالم بهم والشاهد عليهم . أما الآية الثانية

فهي قوله تعالى :﴿إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيۡكُمۡ رَقِيبا﴾ [النساء: 1] يعني حافظا. والآية الثالثة هي قول المولى سبحانه وتعالى : ﴿مَا يلفظ من قولٍ إلا لديه رقيبٌ عتيدٌ﴾ [ق:18] بمعنى ملك حافظ يكتب قول الانسان. (12) والرقابة بمعناها اللغوي هي المحافظة لقوله تعالى : ﴿إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيۡكُمۡ رَقِيبًا﴾ [النساء: 1] والانتظار ، لقوله تعالى : ﴿فَخَرَجَ مِنۡهَا خَآئِفًا يَتَرَقَّبُ ﴾ [القصص: 21] والمقصود من الرقابة عموما : الرعاية والحفظ والانتظار. قال في مختار الصحاح : الرقيب الحافظ والمنتظر وراقب الله تعالى أي خافه والترقب الارتقاب والانتظار.(13).

مفهوم الرقابة اصطلاحا :

يقول هنري فايول : " تنطوي الرقابة على التحقق عما إذا كان كل شيء يحدث طبقا للخطة الموضوعة، والتعليمات الصادرة والمبادئ المحددة . وإن غرضها هو الإشارة إلى نقاط الضعف والأخطاء بقصد معالجتها ومنع تكرار حدوثها، وهي تطبق على كل شيء، الأشياء، والناس، والأفعال " (14) والرقابة هي عملية التثبت من سلامة التنفيذ للخطة المقررة وللأوامر الصادرة، و تستلزم هذه الوظيفة _حسب رأي هنري فايول_ معاقبة المخطئ ومكافأة المجد. (15).

مفهوم الرقابة الإدارية:

تعد الرقابة في المفهوم الحديث للإدارة هي الوسيلة التي تمكن المخطط من التأكد من تحقيق أهدافه، وكذلك فإن التخطيط هو الذي يحدد الأهداف والمعايير التي تعد الخطوة الأولى في عملية الرقابة، وعلى ذلك فإن التخطيط والرقابة متكاملان ولا يمكن وضع حدود فاصلة وواضحة بينهما. إن التفاعل الدائم بين التخطيط والرقابة هو الأسلوب الأساسي لتحقيق مفهوم التخطيط المستمر، وكذلك فإن مفهوم الرقابة الحديث والذي يحقق هذا التفاعل يعنى في الواقع السيطرة أو التحكم ، وهى المعاني الأكثر دقة لكلمة Control التي تستخدم في المراجع المكتوبة باللغة الإنجليزية ولكننا فضلنا استخدام لفظ رقابة لأنه اللفظ الشائع في المراجع العربية. ويقصد بالرقابة الإدارية: قيام جهات الإدارة بمراجعة أعمالها ذاتيا لتصحيح ما قد يشوبها من أخطاء تتعلق بمخالفة المشروعية أو بعدم الملائمة من خلال سحبها أو إلغائها أو تعديلها أو استبدالها بأخرى تكون سليمة . والرقابة تمثل إحدى الوظائف الإدارية وهي عبارة عن عملية تقييم النشاط الإداري الفعلي للتنظيم ومقارنته بالنشاط الإداري المخطط، ومن ثم تحديد الانحرافات بطريقة وصفية أو كمية بغية اتخاذ ما يلزم لمعالجة الانحرافات. (16)

أهداف الرقابة الإدارية:

- التأكد من أن التنفيذ يتم طبقاً للخطة : ويعتمد تحقيق هذا الهدف أساساً علي عملية التخطيط حيث أنه بدون خطة لا يمكن تنفيذ عملية الرقابة وعلى ذلك يمكن القول أن أول خطوات الرقابة هي التخطيط. كذلك يلزم للوصول إلى هذا الهدف الحصول على معلومات دقيقة تعكس سير التنفيذ في الوضع الحالي.
- الكشف عن الانحرافات عن الخطة : وهو أول خطوات التغذية العكسية من الرقابة إلى التخطيط من أجل تصحيح وتعديل مسار التخطيط إذا لزم الأمر، ويشمل ذلك قياس الانحرافات وتحديد أهميتها النسبية والتي سنتعرض لها بالتفصيل فيما بعد.
- تحديد الأسباب والظروف التي أدت لهذه الانحرافات : وهو أحد الأهداف الأساسية للرقابة، حيث يتم تحديد ما إذا كانت هذه الانحرافات بسبب عدم كفاءة التنفيذ أو أنها نتيجة لقصور أو معوقات في الخطة.
- تحديد الحلول والانحرافات: إذا اتضح أن هذه الانحرافات بسبب عدم كفاءة التنفيذ يتم وضع الحلول اللازمة، بمشاركة كل من التخطيط والرقابة ،حيث يستخدم المدخل التشخيصي لوضع الحلول للمشاكل وليس للأعراض، وحيث أن الحلول المقترحة ستطبق في المستقبل فيصبح من الضروري توقع ما ستكون عليه هذه الانحرافات وذلك من خلال دراسة مدى استمرارية الظروف والأسباب التي أدت للانحرافات لمنع تكرارها في المستقبل، وعاده ما تكون هذه الحلول في صورة تعديل للخطة الحالية أو أن تكون جزء من الخطة المستقبلية، على أن يتم ذلك بعد تصحيح تلك الأخطاء والانحرافات، و تحديد المسئول عنها ومحاسبته المحاسبة العادلة.
- تحديد القصور والمعوقات في الخطة : قد يحدث في بعض الأحيان أن يكون سبب الانحرافات قصور في الخطة الموضوعة أو حدوث معوقات لم تكن في الحسبان عند وضع الخطة حيث تلعب الرقابة دورا أساسياً في تحديدها.
- قياس أثر التعديل في الخطة : عند وجود قصور أو معوقات في الخطة يلزم تعديلها لإزالة هذه المعوقات وتلافى أوجه القصور وذلك إما بتحديث أو مراجعة الخطة الحالية، أو تعديل الخطة القادمة. وتقوم الرقابة، من خلال التغذية العكسية، بقياس أثر هذه التعديلات وتحديد مدى صحة القرارات التي اتخذها المخطط، كما تتم عمليه التكيف مع المواقف المستجدة من خلال التفاعل بين التخطيط والرقابة. .)17)

مراحل الرقابة الإدارية:

تتكون عملية الرقابة الإدارية من الخطوات الرئيسة التالية :

1. تحديد المعايير : والمعيار هو رقم أو مستوى جودة نسعى إلى تحقيقه.

- قياس الأداء : وهنا يقاس الأداء الفعلي بطريقة مستمرة لتقدير ما إذا كان الأداء متفقاً مع المعايير.
- مقارنة الأداء الفعلي بالمخطط : وتتضمن هذه المرحلة مقارنة الأداء الفعلي بالمخطط وهنا نصل إما إلى:
- توافق الأداء الفعلي مع المعياري (لا توجد انحرافات).
- أن يكون الأداء جيداً ويفوق المعيار (الانحراف موجب).
- أن يكون الأداء سلبي (الانحراف سلبي).
- تحليل أسباب الانحرافات واتخاذ اللازم .(18)

خصائص النظام الرقابي الجيد:

لابد من توافر بعض الشروط والخصائص في النظام الرقابي وذلك ليؤدي دوره على الوجه الأكمل والأصوب وهذه الخصائص هي:

- الكشف عن الانحرافات في الوقت المناسب, الذي يمكن معه اتخاذ الإجراءات الكفيلة بالتصحيح, وحين ذلك تحقق الرقابة هدفها. لان الإجراءات الكفيلة بالتصحيح, وحين ذلك تحقق الرقابة هدفها. لان الكشف عن الانحراف بعد حدوثه فعلا وبعد أن تنتج آثاره السلبية لا يفيد, ولكن الفائدة تتم حينما يتم رصد الانحرافات قبل أن تنتج آثارها السلبية.
- إيجاد الحلول والبدائل, فنظام الرقابة الجيد لا يكتفي فقط بالكشف عن الانحرافات في الوقت المناسب ولكنه يعمل على إيجاد البدائل المناسبة والحلول لهذه الانحرافات قبل حدوثها, أي وضع خطط محددة مبرمجة للانحرافات التي قد تحدث مستقبلا.
- أن يتصف نظام الرقابة بالموضوعية والحيادية. حتى يكون بمنأى عن إساءة استعمال السلطة. وان لا يكون له هدف سوى التحقق من كفاءة العمل الإداري.
- ويترتب على النقطة السابقة أن تكون الرقابة توجيهية هادفة ترمي إلى الإصلاح والتقويم. فلا يحاسب العاملون نتيجة لها إلا عن الأخطاء التي تحدث منهم عن سوء نية و تقصير في الأداء.

مقارنة بين مبادئ الرقابة لدى المسلمين، وبين مبادئ الرقابة في الثقافة الإدارية

من خلال مراجعة ما تم استعراضه من معلومات ونصوص حول الرقابة، ومن وجهة النظر الشخصية، يمكن القول أن مبادئ الرقابة لدى المسلمين تختلف تماما عن مبادئ الرقابة في الثقافات الإدارية الأخرى، ويتضح ذلك من خلال الجدول التالي : (19)

الرقابة لدى المسلمين	الرقابة في الثقافة الإدارية
تعتمد على مصادر التشريع الإسلامي	تعتمد على اجتهادات وكتابات المختصين في الإدارة
تركّز على مراقبة الله في كل الأعمال	تركّز على الخوف من المدير أو صاحب العمل
تدعو إلى ترسيخ الرقابة الذاتية لدى الرئيس والمرؤوس	تركّز غالبا على مراقبة المرؤوسين
الولاء لدى الرئيس والمرؤوس لله دائما	الولاء للمدير أو صاحب العمل غالبا

نستخلص من مدلول الرقابة لغة واصطلاحا أنها تعني: متابعة وملاحظة وتقييم التصرفات والأشياء بواسطة الفرد ذاته أو بواسطة الغير وذلك بهدف التأكد من أنها تتم حسب قواعد وأحكام الشريعة الإسلامية وبيان الانحرافات والأخطاء تمهيدا لعلاجها أولا بأول يتضمن المفهوم السابق المعالم الأساسية للرقابة في الإسلام والتي تتمثل في الآتي:

1. تتمثل عملية الرقابة في المتابعة و الملاحظة والتقييم للأعمال والتصرفات التي يقوم بها الفرد.
2. مقارنة هذه الأعمال والتصرفات بما يجب أن يكون وفقا لقواعد وأحكام الشريعة الإسلامية.
3. تبين الانحرافات والأخطاء ودراسة أسبابها.
4. اتخاذ القرارات المصوبة للأخطاء في ضوء الاسباب. (20).

المبحث الثاني
الرقابة في الفكر الإسلامي

المطلب الأول: مفهوم الرقابة في الفكر الاداري في الاسلام :

الرقابة في الفكر الإداري في الإسلام لها مفهومها الخاص الذي يميزها عن الرقابة في الفكر الإداري في العصر الحديث, وهي تستمد أصولها من القران الكريم والسنة النبوية, كما قد عرفها النظام الإداري الإسلامي منذ نشأته الأولى, وأحاط بكيانها ومظاهرها في شمول وفعالية لم تصل إليها الأنظمة الإدارية الوضعية القديمة أو المعاصرة ، وهو الأمر الذي يعزى في الواقع إلى الذاتية الخاصة بالنظام الإسلامي وجوانبه الروحية السامية التي يمتد أثرها إلى بنيان الفرد المسلم وأخلاقياته لتقيم داخله وازعا طبيعيا تلقائيا يجعل الخضوع والالتزام بالشرعية الإسلامية يسود ويحكم كل تصرفاته (21). تعتبر الرقابة أحد العناصر الأساسية للفكر الإداري في الإسلام وهي جزء مكمل لعناصر الإدارة الأخرى ، وهي التخطيط والتنظيم والتوجيه, ولعل أهم ما يميز مفهوم الرقابة في القران الكريم هو تنوع هذه الرقابة وأنها تختلف اختلافا كبيرا عن مفهوم الرقابة في الفكر الإداري في العصر الحديث, والقران الكريم يزخر بالعديد من الآيات القرآنية الكريمة التي توضح طبيعة الرقابة وتنوعها من منظور إسلامي. وأهم أنواع الرقابة التي تحدث عنها القران الكريم هي الرقابة الربانية وهي رقابة الله سبحانه وتعالى على عباده ومخلوقاته, فالله سبحانه وتعالى رقيب على عباده يعلم سرهم وعلانيتهم وباطنهم وظاهرهم وما تخفي صدورهم من خير أو شر, وهو معهم أينما كانوا وحيثما حلوا في سرائهم وضرائهم, فالإنسان المسلم كلما أحس بأهمية رقابة الخالق عز وجل كلما قوى إيمانه وخشي الله سبحانه وتعالى وخاف عقابه وطمع في ثوابه .

المطلب الثاني

أهم الأسس التي تقوم عليها الرقابة في الاسلام الاستشعار بمراقبة الله

تقوم الرقابة في الإسلام على جوانب عقائدية من بينها الإيمان القوي بأن الله سبحانه وتعالى هو الرقيب لكل تصرفات وسلوكيات الناس، وأنه سبحانه وتعالى سوف يحاسب الناس يوم القيامة عن كل شيء وأساس ذلك قول الله تبارك وتعالى: ﴿ وَهُوَ مَعَكُمۡ أَيۡنَ مَا كُنتُمۡۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعۡمَلُونَ بَصِيرٌ ٤﴾ [الحديد: 4] وقوله جل شأنه: ﴿أَلَمۡ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يَعۡلَمُ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِۖ مَا يَكُونُ مِن نَّجۡوَىٰ ثَلَٰثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمۡ وَلَا خَمۡسَةٍ إِلَّا هُوَ سَادِسُهُمۡ وَلَآ أَدۡنَىٰ مِن ذَٰلِكَ وَلَآ أَكۡثَرَ إِلَّا هُوَ مَعَهُمۡ أَيۡنَ مَا كَانُواْۖ ثُمَّ يُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُواْ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِۚ إِنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمٌ﴾ [المجادلة: 7] ويقول رسول الله ﷺ عندما سئل ما تزكية المرء نفسه فقال: " يعلم أن الله معه حيث كان " فالفرد المسلم باعتباره راع ومسؤول عن رعيته يستشعر دائما بأن الله يراقبه في كل تصرفاته وأنه سوف يحاسب على عمله.(22)

المبحث الثالث

الرقابة الالهية (الربانية)

وهي رقابة الله سبحانه وتعالى على مخلوقاته ، تلك الرقابة التي تحكم الكون بجميع أجزائه وبكافة عناصره ، وهي أشدها تأثيرا في سلوك المؤمن وفي أفعاله ، وفي أقواله وفي نواياه (23) . سيتم التركيز هنا على هذا النوع لكون الرقابة الالهية الأسمى والأهم ، وقد ورد في القرآن الكريم العديد من الآيات التي تدل على الرقابة (صراحة أو معنى)، ومن هذه الآيات:

- ﴿مَا يلفظ من قولٍ إلا لديه رقيبٌ عتيدٌ﴾ [ق:18] .
- ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفۡسٖ وَٰحِدَةٖ وَخَلَقَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا وَبَثَّ مِنۡهُمَا رِجَالٗا كَثِيرٗا وَنِسَآءٗۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِي تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلۡأَرۡحَامَۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيۡكُمۡ رَقِيبٗا١﴾ [النساء: 1]
- ﴿هُوَ ٱلَّذِي خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٖ ثُمَّ ٱسۡتَوَىٰ عَلَى ٱلۡعَرۡشِۖ يَعۡلَمُ مَا يَلِجُ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَمَا يَخۡرُجُ مِنۡهَا وَمَا يَنزِلُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ وَمَا يَعۡرُجُ فِيهَاۖ وَهُوَ مَعَكُمۡ أَيۡنَ مَا كُنتُمۡۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعۡمَلُونَ بَصِيرٞ﴾ [الحديد: 4]
- ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ رَّقِيبٗا﴾ [الأحزاب: 52]
- ﴿يَعۡلَمُ خَآئِنَةَ ٱلۡأَعۡيُنِ وَمَا تخفي ٱلصُّدُورُ١٩﴾ [غافر: 19]

- والله سبحانه وتعالى يبين أن البعض يمارس الباطل قولا وفعلا مستترا من الناس حياء وخوفا ولا يستحي من الله وهو أحق بان يستحي منه ويخاف عقابه لأنه معهم محيط بأحوالهم حيث يقول الحق تبارك وتعالى: ﴿يَسۡتَخۡفُونَ مِنَ ٱلنَّاسِ وَلَا يَسۡتَخۡفُونَ مِنَ ٱللَّهِ وَهُوَ مَعَهُمۡ إِذۡ يُبَيِّتُونَ مَا لَا يَرۡضَىٰ مِنَ ٱلۡقَوۡلِۚ وَكَانَ ٱللَّهُ بِمَا يَعۡمَلُونَ مُحِيطًا ﴾ [النساء: 108].
- ويبين الله سبحانه وتعالى أن أعمال الناس لا تخفى عليه وإنهم راجعون إليه حيث يخبرهم بما فعلوا ويجازيهم عليه, يقول عز وجل: ﴿وَقُلِ ٱعۡمَلُواْ فَسَيَرَى ٱللَّهُ عَمَلَكُمۡ وَرَسُولُهُۥ وَٱلۡمُؤۡمِنُونَۖ وَسَتُرَدُّونَ إِلَىٰ عَٰلِمِ ٱلۡغَيۡبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ﴾ [التوبة: 105].
- ويبين الله سبحانه وتعالى لعباده إحاطته بكل شيء حيث يقول: ﴿وَلِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِۚ وَكَانَ ٱللَّهُ بِكُلِّ شَيۡءٖ مُّحِيطَۢا﴾ [النساء: 126].
- ويذكر الله عباده بأنه يعلم سرهم وعلانيتهم, حيث يقول الباري عز وجل: ﴿أَلَمۡ يَعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ يَعۡلَمُ سِرَّهُمۡ وَنَجۡوَىٰهُمۡ وَأَنَّ ٱللَّهَ عَلَّٰمُ ٱلۡغُيُوبِ﴾ [التوبة: 78] وفي آية أخرى يذكر الله سبحانه وتعالى عباده بيوم القيامة حيث يحشر الله الناس ويخبرهم بما فعلوا وأن الله شهيد عليهم, يقول الحق تبارك وتعالى: ﴿يَوۡمَ يَبۡعَثُهُمُ ٱللَّهُ جَمِيعٗا فَيُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُوٓاْۚ أَحۡصَىٰهُ ٱللَّهُ وَنَسُوهُۚ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ شَهِيدٌ﴾ [المجادلة: 6] .

إن ما مر ذكره من آيات كريمة سابقة ما هي إلا قليل من كثير من الآيات الدالة على رقابة الله سبحانه وتعالى على عباده وإحاطته بكل شيء وهذه الرقابة الربانية هي الرقابة الأساسية في الفكر الإداري في الإسلام فهي مرتبطة ارتباطا كبيرا بمدى قوة الإيمان لدى الإنسان المسلم, فكلما كان الوازع الديني قويا لدى الإنسان المسلم كلما أحس بمراقبة الله له في أعماله وأفعاله في سره وعلانيته وكلما خاف من عقابه وطمع في ثوابه, إن هذا النوع من الرقابة لو عمل بها الإنسان المسلم وطبقها واخذ بها في دينه ودنياه لأصبح المجتمع المسلم في غنى عن ما يسمى اليوم بالرقابة الوضعية. وإذا كانت الرقابة الربانية هي الرقابة الأساسية والأولى في الفكر الإداري في الإسلام فإن القران الكريم ومن خلال آياته الكريمة يبين نوعا آخر من أنواع الرقابة, هذا النوع من الرقابة هو رقابة الإنسان المسلم لأخيه المسلم وذلك عن طريق التناصح والتوجيه والإرشاد. واهم وسيلة لتحقيق ذلك هو الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر, يقول الحق تبارك وتعالى داعيا طائفة من المؤمنين إلى الدعوة إلى الخير وذلك بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر:﴿ وَلۡتَكُن مِّنكُمۡ أُمَّةٞ يَدۡعُونَ إِلَى ٱلۡخَيۡرِ وَيَأۡمُرُونَ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَيَنۡهَوۡنَ عَنِ ٱلۡمُنكَرِۚ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُفۡلِحُونَ ﴾ [آل

عمران:104] ، ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفۡسٖ وَٰحِدَةٖ وَخَلَقَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا وَبَثَّ مِنۡهُمَا رِجَالٗا كَثِيرٗا وَنِسَآءٗۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِي تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلۡأَرۡحَامَۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيۡكُمۡ رَقِيبٗا﴾ [النساء:1] ، فالله سبحانه وتعالى رقيب على الإنسان بمعنى أنه مطلِّع على حركاته ونيّاته وأعماله وأقواله وهواجس فكره ووساوس نفسه فهو أقرب إليه من حبل الوريد ولا يعزب عنه مثال ذرّةٍ مما يقوم به أو يقوله أو يفعله. وحين يكون لدى المؤمن نور الإدراك بذلك واليقين بهذه الرقابة الإلهية عليه في كل أحواله وسائر أحيانه فإنه يستشعر رقابة الله واطِّلاعه في كل ما يقوم به، واستشعار هذه الرقابة يكون رادعا له عن ارتكاب المعاصي فإنه يستحي من ربه أن يراه على معصية ويخشى من القطيعة عن جنابه ومن نفاذ حكمه وعقابه. لذلك اعتنى أهل السلوك والسير إلى الله بترسيخ هذا المعنى في نفس السالك حتى يقوى عنده الورع والتقوى ويتقدم في مسيرته الروحية نحو حضرة المولى جلَّ وعلا.(24)

قال تعالى: ﴿أَلَمۡ يَعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ يَعۡلَمُ سِرَّهُمۡ وَنَجۡوَىٰهُمۡ وَأَنَّ ٱللَّهَ عَلَّٰمُ ٱلۡغُيُوبِ ﴾ [التوبة: 78]،ومن خلال هذه الآية تتجلى لنا الرقابة الإلهية، فالله عز وجل خلق ابن آدم وأسند إلينا العمل للفوز بجنته ورضوانه، وبين لنا أننا تحت رقابته، فهو يرانا ويعلم خفايا أنفسنا، وما تكنه صدورنا. ومن هنا تتجلى لنا أهمية الرقابة فهي دافع للإنسان ليعطي أكثر في كافة المجالات الدينية والعملية. ولعلنا نعني بالرقابة مراجعة الأعمال للتأكد من مدى اتفاقها مع الخطط المرسومة. ومن خلال دراستنا لمفهوم الرقابة في القران الكريم يتبين لنا إن رقابة الله عز وجل على عباده هي الرقابة الحقيقية التي لا يعادلها نوع آخر من الرقابة, وبالتالي فان الرقابة في الفكر الإداري في الإسلام هي رقابة سماوية من الله سبحانه وتعالى على عباده في الأرض, وهذه الرقابة السماوية لا ترتبط بمكان أو زمان معين بل هي دائمة وهي تختلف اختلافا كبيرا عن الرقابة الوضعية في الفكر الإداري في العصر الحديث. واهم هذه الاختلافات أن الرقابة السماوية مصدرها الله سبحانه وتعالى، أما الرقابة الوضعية فمصدرها الإنسان نفسه . (25)

النتائج:

1. الرقابة الالهية هي الرقابة الاساسية والأولى في الفكر الإداري في الإسلام.
2. الرقابة الالهية (الربانية) هي الرقابة الحقيقية ذات التأثير الحقيقي الفعال والأكبر والأوسع والأشمل.
3. هذه الرقابة لها نواحي عديدة وأبعادها متكاملة .

4. في الفكر الإداري الإسلامي فإن مفهوم الرقابة ينطوي علي نشاط المتابعة .
5. هدفت الآيات القرآنية التي دلت على الرقابة (صراحة أو معنى) الى ربط الإنسان بخالقه في السر والعلن وأن الله عز وجل مطلع على باطن الإنسان وظاهره حيث يقول الله سبحانه وتعالى: ﴿ ولقد خلقنا الإنسانَ ونعلم ما تُوسوِس به نفسُه ونحن أقربُ إليه من حبلِ الوريد﴾ [ق: 16] ، ويقول الله عز وجل:﴿أَلَمۡ يَعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ يَعۡلَمُ سِرَّهُمۡ وَنَجۡوَىٰهُمۡ وَأَنَّ ٱللَّهَ عَلَّٰمُ ٱلۡغُيُوبِ﴾ [التوبة: 78]
6. مفهوم الرقابة في السنة النبوية يستند إلى مفهوم الرقابة في القرآن الكريم.
7. الرقابة توجيهية وهادفة تعمل على تحصين الإنسان ضد ارتكاب الأخطاء والمعاصي عن قصد.
8. تنبع مشروعية الرقابة بأنواعها العديدة من آيات القرآن الكريم وأحاديث النبي محمد ﷺ.
9. تكون الرقابة سابقة لأي عمل اداري او غيره للتأكد من مشروعيته.

التوصيات:

- أن تعمل المؤسسات التعليمية على تأهيل و غرس مفهوم الرقابة الالهية لدى الطلبة والعاملين بها.
- اذا ايقن الإداري المسلم و آمن بصدق هذه المعاني الجليلة هانت وصغرت أمامه جميع أنواع الرقابة الأخرى سواء من ادارته المباشرة من الأجهزة الرقابية الخارجية.
- الحرص على تعزيز مخافة الله تعالى في قلوب العاملين وذلك بتذكيرهم بالله سبحانه وتعالى وأنه مطلع على جميع أعمال الخلائق في كل مكان وكل زمان.
- ألا يكون هدف الرقابة اصطياد الأخطاء غير المقصودة وإنما للتوجيه والإصلاح.

المراجع:

1. د.حسين حسين شحاتة : (المنهج الإسلامي للرقابة على التكاليف) ، ص406 ، وقائع ندوة (الإدارة في الإسلام) التي نظمها المعهد الإسلامي للبحوث والتدريب التابع للبنك الإسلامي للتنمية بجدة بالتعاون مع جامعة الأزهر بالقاهرة في الفترة من 26-30 صفر 1411هـ الموافق 15-19 سبتمبر 1990
2. د. محمد رأفت عثمان : (بعض المبادئ التي تحكم الإدارة العامة في الإسلام) ، ص105 ، وقائع ندوة (الإدارة في الإسلام) ، المعهد الإسلامي للبحوث والتدريب – البنك الإسلامي للتنمية ، مرجع سبق ذكره

3. د. محسن أحمد الخضيري : (الفكر الإداري في الإسلام) ، ص141 ، وقائع ندوة (الإدارة في الإسلام) ، المعهد الاسلامي للبحوث والتدريب – البنك الاسلامي للتنمية ، مرجع سبق ذكره .
4. د. حسين حسين شحاته : (المنهج الإسلامي للرقابة على التكاليف) ، ص339 ، مرجع سابق .
5. د. عبد العزيز بن سعد الدغيثر : (الرقابة الإدارية) 2016، تاريخ الااضافة 22-6-2016 ، ALUKA.NET .
6. د. عبدالرحمن بن سعيد الحازمي : (إنشاء أجهزة للإشراف والمتابعة والمراقبة والمحاسبة) ، 2016 ، تاريخ الاضافة 30-3-2016 ، ALUKA.NET .
7. ابن منظور : (لسان العرب) ، جزء1 ، ص424 .
8. المرجع السابق نفسه ، جزء1 ، ص425 .
9. المرجع السابق نفسه ، جزء1، ص426 .
10. خوجلي أحمد صديق محمد : (الرقابة الإدارية في الدولة الاسلامية منذ نشأتها وحتى نهاية العصر الأموي) بحث مقدم لنيل درجة الدكتوراه ، ص9، كلية الشريعة والدراسات الإسلامية ، جامعة أم القرى .
11. خوجلي أحمد صديق محمد ، المرجع السابق نفسه ، ص10 .
12. خوجلي أحمد صديق محمد ، المرجع السابق نفسه ، ص12 .
13. أروى محمد الخويطر ، د. خولة عبدالله المفيز : (الرقابة الإدارية في الإسلام – نماذج تطبيقية) ، المجلة التربوية لتعليم الكبار – كلية التربية – جامعة أسيوط ، المجلد الأول – العدد الرابع – أكتوبر 2019م ، ص2 .
14. د. جميل أحمد توفيق : (إدارة الأعمال) ، دار النهضة العربية للطباعة والنشر- بيروت ، 1986م ، ص404 .
15. المرجع السابق نفسه ، ص45.
16. www.startimes.com from www.mdcegypt.com
17. المرجع السابق نفسه .
18. www.startimes.com .
19. المرجع السابق نفسه .

20. د. حسين حسين شحاته : (المنهج الإسلامي للرقابة على التكاليف) ، ص411، مرجع سبق ذكره .
21. www.startimes.com from www.alwatan.com. sa
22. د. حسين حسين شحاته : (المنهج الاسلامي للرقابة على التكاليف) مرجع سابق ، ص418-419
23. د. محسن الخضيري : (الفكر الإداري في الإسلام) ، مرجع سبق ذكره ، ص191-193.
24. غادة شمس أم مريم : (ما هي الرقابة الإلهية) ، كاتبة في المجال الديني والفقهي : https://ujeeb.com .
25. www.startimes.com .

المصادر:

1. القرآن الكريم
2. السنة النبوية
3. أم مريم ، غادة شمسي (ما هي الرقابة الإلهية) ، كاتبة في المجال الديني والفقهي .
4. ابن منظور : (لسان العرب)
5. الحازمي ، عبد الرحمن بن سعيد (إنشاء أجهزة للإشراف والمتابعة والمراقبة والمحاسبة) ، 2016 .
6. الخضيري ، محسن أحمد (الفكر الإداري في الإسلام) ، وقائع ندوة (الإدارة في الإسلام) ، المعهد الاسلامي للبحوث والتدريب – البنك الاسلامي للتنمية.
7. الخويطر ، أروى محمد ، المفيز ، خولة عبدالله (الرقابة الإدارية في الإسلام – نماذج تطبيقية) ، المجلة التربوية لتعليم الكبار – كلية التربية – جامعة أسيوط .
8. الدغيثر ، عبد العزيز بن سعد (الرقابة الإدارية) 2016 .
9. توفيق ، جميل أحمد (إدارة الأعمال – مدخل وظيفي) ، دار النهضة العربية للطباعة والنشر- بيروت ، 1986م .
10. شحاتة ، حسين (المنهج الإسلامي للرقابة على التكاليف) ، وقائع ندوة (الإدارة في الإسلام) التي نظمها المعهد الإسلامي للبحوث والتدريب التابع للبنك الإسلامي للتنمية بجدة بالتعاون مع جامعة الأزهر بالقاهرة في الفترة من 26-30 صفر 1411هـ الموافق 15-19 سبتمبر 1990 .

11. عثمان ، محمد رأفت (بعض المبادئ التي تحكم الإدارة العامة في الإسلام) ، وقائع ندوة (الإدارة في الإسلام) ، المعهد الإسلامي للبحوث والتدريب – البنك الإسلامي للتنمية .
12. محمد ، خوجلي أحمد صديق (الرقابة الإدارية في الدولة الاسلامية منذ نشأتها وحتى نهاية العصر الأموي) بحث مقدم لنيل درجة الدكتوراه ، كلية الشريعة والدراسات الإسلامية ، جامعة أم القرى .

جامعة حجة
HAJJAH
UNIVERSITY
2008م
جامعة حجة
HAJJAH UNIVERSITY